الاوهام في قوله تعالى وقد اقترح المشركون على النبي صلى الله عليه
وسلم تكوين ما لم يسبق قضاء الله وما نفذ به حكمه خرقا لحجاب الادب
على سبيل التعجيز قل يا محمد سبحان ربي تعالى ان يليق من تبديل حكمه وقضايه
وتعبدا لما رسخ في باطن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من عقايد التو
حيد وصونا لهم من شوايب الاوهام وقول موسى عليه السلام وقد
حمله الاجمال على طلب ما لم يسبق قضاوه في التجلي له في الدنيا ولما افاق من صعقته
وظهر له ان طلبه وقع في غير محل سبحانك اي ان يكون في الاكوان ما لا يتبع
فيظهر بذلك ان ذكر التسبيح اختصاص بتصفية مشرب التوحيد بتنزيه الواحد
الحق الملك المعبود فاذا طلب تصفية توحيده لي جمع الاشكال وطرد الا
وهام انسب الاذكار له ذكر التسبيح ومن ذلك الذكر المفرد وهو الاسم العظيم
جعل الله تعالى فيه اختصاصا بخروج الباطن عن الاكوان تعويلا على المكون
الحق ورجوعا الى الاشرف في قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فيظهر بذلك ان الذكر المفرد له اختصاص بالاستغراق في معنى المحو
لما سواه فاذا طالب فناء نفسه عن تلعثم ستبين من عالم حسه استغرافا في سر
توحيده انسب الاذكار له الاسم العظيم مفردا فقط وقد ثبت من السنة
ما يدل على استعمال الاذكار بحسب الاحوال حتى لا يجد العاقل عن ذلك مصرفا
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ويل للعرب من شر
قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وعقد الراوي بعينه
بيده تسعين جاء صلوات الله وسلامه عليه في هذه الحالة بذكر التهليل بين
يدي كلامه مشعرا بنفي ما يرد على النفس من الجزع بتوقع خروج ياجوج وما
جوج ليرد وارد الجزع على نفسه فيجد فيها معنى التوحيد بنفي ما سوى
الله فلا يجد الجزع اليها سبيلا واختصاصه صلى الله عليه وسلم ذكر
التهليل بهذا الموضع دون غيره من تسبيح وتهليل وتكبير وشكر وتحميد
وغير ذلك يوذن ان التهليل اخص الاذكار بهذه الحال وما يضارعها فهو
الاملح الاعظم والطيب الاكبر ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الله
اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
جاء صلوات الله عليه في هذه الحالة بذكر التهليل التكبير بين يدي كلامه

كلاما يشعر ان يصغر ما وردوا عليه من امر خيبر وتحقيق ليذهب عارض استكثار
العدو وينا الشي ما سوى الله تعالى في جنب كبريايه وعظمته ويفوق
جاش الجيش في استقبال من العدو ويحصل الظفر وهو سر قوله تعالى اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر واما
ليصغر في النفس ما كثر من عدد المسلمين وعددهم تعويلا على الكبير المتعال
حتى ينتفي عن النفس الركون لغير الله في الاستكثار على العدو وذلك سر قوله
تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا فاذا التكبير اخص
الاذكار بهذين الحالتين وما ضارعهما ومن ذلك قوله صلوات الله وسلامه
عليه سبحان الله اوينقص الرطب اذا جف جاء صلى الله عليه وسلم بذكر التنزيه
اشعارا ان الله عز وجل منزه عن التغيير والتبديل حفظا للنفس من طوارق
التشبيه وصونا لها من طوارق الاوهام ومن هذا القبيل هي مشروعية
استعمال التسبيح للساهي في الصلاة فاذا التسبيح اخص الاذكار بهذه
الحال وما يضارعها ومن ذلك ما شرع صلوات الله وسلامه عليه لامته من الذكر
في ايام الاعياد نفيا للعلل الطارية عليهم فيها الطارقة لنفوسهم بسببها
فلا اله الا الله نفي لعلة سكون النفس الى البسط المشروع في الاعياد
والميل الى متاع الدنيا والله اكبر طرد لعلة استكثار النفس عدد الخلق
عند بروزهم واستكبارها باظهار التجمل وسبحان الله اخماد لعلة
النفس في انفعالها لما تراه على الخلق من تحولهم من حال الى حال والحمد
لله محو لعلة النفس في نسيان المنعم بالنعم ليقوم بحق المحسن المنان
ولا حول ولا قوة الا بالله اخراج للنفس من علة الركون الى تدبيرها
فتم بهذه جعل التكبير فيه ثلاثا تاكيدا في محو غلب العلل في ذلك اليوم
فانظر ما اخص هذا الذكر بحال ايام الاعياد كان ذلك اخراج للنفس من
عللها حتى يصح لها صفة العبودية ولا جل ذلك كان النبي صلى الله
عليه وسلم يكبر على كل شرف وفي سفره ويسبح اذا انحدر وقد وقعت
الاشارة الى شيء من هذا المعنى فيما روي من ان داود عليه السلام
لما فرغ من بناء المقدس اوحى الله اليه يا داود ادخل البيت فسبحني و
قدسني واصنع كما تصنع الامة التي اخرجتها على العالم قال رب وما

Copyright © King Saud University